وشبه الرأسمالي المتخلف، السائدة في الجانب العربي، واتسعت، على نحو أشد جلاء، الهوة الثقافية، بفعل هذه الأسباب ولوفرة الوسائل والامكانيات المتاحة لليهود، مما كان العرب محرومين منه.

وبنمو ذلك في الجانب اليهودي كانت روح قومية تتكون وتنمو، على نحو خاص ميزه تعدد مصادر الهجرة وانتماءات المهاجرين السابقة، لعدد من البلدان والقوميات. وكانت مظاهر «التفوق» والاحساس به تحفز أعمق ما في تلك الروح من شوفينية وعداء للعرب، مما جعلها خطراً كبيراً انضاف إلى جملة الأخطار الأخرى.

النظرة العربية إلى النشاط الصهيوني

وكان العرب، بوعي وبغير وعي، يرفضون ذلك كله؛ وإذ انطلقوا من رفض المشروع الصهيوني لإقامة الوطن القومي، فقد نظروا نظرة متشككة، أو رافضة كلية، لكل مظهر من مظاهر التقدم في الجانب اليهودي، وعدوه استفزازاً لهم.

وباستثناء المحاولة، غير الفعالة، التي تمثلت في اشتراك عرب ويهود في الحزب الشيوعي، وباستثناء علاقات فردية، ذات طابع شخصي في الغالب، لم تجر بين الجانبين أية اتصالات جادة ودؤوبة، ولم تقم من الجانب العربي الرافض للوجود اليهودي من أساسه أية محاولة للاستفادة من مظاهر التقدم عند اليهود. كما لم تتم أية محاولة للاستفادة مما يفرزه هذا التقدم من تيارات وقوى، وبالتالي من خلافات، داخل هذا الجانب. وظل العرب ينظرون، بريبة شديدة، إلى ادعاءات بريطانيا الرسمية بأن التقدم اليهودي الملحوظ، من شأنه أن يفيد العرب لو أرادوا ذلك. ثم أن الصهيونيين أنفسهم كانوا ينمون بين اليهود روح العداء للعرب، وكانت الأسباب لذلك وافرة، وكان من شأنهم أن يفتعلوها حين لا تتوافر. فقد كان ضد مصلحتهم، بطبيعة الحال، أن تنفتح اقنية للتفاهم أو التعاون مع الجانبين، والمبادرات التي قاموا بها للاتصال بقادة عرب، مما تحدثت عنه المصادر الصهيونية، تمت في سياق المناورات لدفع القادة إلى التخفيف من حدة معارضتهم للمشاريع الصهيونية فقط، ولم تجر من أجل البحث عن هوامش مشتركة للعيش مع العرب في فلسطين، كما حاول بن ــ غوريون أن يوحي في مذكراته مثلاً.

وإذن فقد تضافرت العوامل كافة في الجانبين، لجعل الرفض العربي، لكل مظاهر الوجود اليهودي في فسطين، في عنفوانه، بصرف النظر عن توافر، أو عدم توافر الوسائل لدى العرب، لكي يستند رفضهم هذا إلى أساس راسخ، كما تضافرت لدفع حدة العداء بين الجانبين إلى ذروتها، وتغييب أي أمل بتحقيق التعاون، حتى حين يتوافر أساس يجعل التعاون مشتملاً على منافع مشتركة للجانبين.

وأسهمت سياسة بريطانيا في هذا كله. فهي كانت تهدف إلى إدامة نفوذها، في فلسطين والشرق الأوسط عموماً، وكانت ترى في المشروع الصهيوني قاعدة ثابتة ودائمة لهذا النفوذ، وكذلك كانت تجد أن أي تقدم يحققه العرب سوف يساعدهم على معاداتها، وترى أن أي تفاهم جدي، بين العرب واليهود، لابد أن يصبح موجهاً ضد الصهيونية